

عقاب النفس

(تابع ما قبله)

يبكي والقاضي مفتشاً عليه فونفت هي الاخرى ساهية تنظر الى القس والقس ينظر اليها وكان الجميع سكوتاً كأنما هم بكم لا ينطقون وبعد برهة قالت اسما موجهة كلامها الى القس . هل مات ؟ وكأنما القس قد حاسة النطق وقد ذاك فنظر اليها ولم يجب . فاجابها جورج الذي كان يبكي لبته . كان كذلك

وبعد ذلك تعاون الثلاثة على حمله ووضعوه على سريره ورشوه بالماء البارد فلم يبق فارسلوا في طلب الطبيب

وبعد هنيهة جاء الطبيب وجس نبض العليل وانشفه بعض الادوية المنبهة فتململ وفتح عينيه فوقع نظره عليهم فنظر اليهم نظراً شارداً وهب صارخاً ابنتي زوجتي وسقط مفتشاً عليه مرة ثانية

فسألم الطبيب عن اسباب مرضه فكنتموها عنه فقرر جنونه وانذرهم بخوفه من انقطاع شريان في قلبه فيقتله للحال . فأكمل جورج الحديث قائلاً . ويستريح من هذا العذاب . فنظر اليه الطبيب ببرود وسكت وكتب تذكرة الدواء وسلمها اليهم وأخذ أجرته وكر راجعاً

ولبت الثلاثة جالسون ساكتون بجانب سرير العليل ينتظرون افاقته حتى غلب عليهم النعاس فناموا

وبعد قليل افاق المجنون من موته فلم يجد احداً بجانبه فأخذ بصرخ صارخاً متوالياً حتى يقظهم من النوم

ولما رآهم أخذ يصرخ . . ابنتي زوجتي . . ويكررها مراراً كأنما قد نسي كل الكلام سوى هاتين الكلمتين

وبعد ذلك أخذ يضرب رأسه بالحائط وكانوا يمسونه فلا يقدرين عليه حتى اذا تعب استلقى على سريره بعنف وأخذ يئن انيناً مرعجاً

..... تعذب ايها القاضي تعذب فقد كنت لا تشفق على انسان وتذكر
ان كنت تمقل - ان استر المسكينة بكت كثيراً وتعذبت اكثر . فاحصد اليوم ما
زرعته بالامس (فان الذي يزرعه الانسان اياه يحصد)
وظلوا جالسين بجانب سريريه الى ان لاح الفجر فخدمت انفاسه واسلم الروح
وهكذا على الدوام (كما ان البر يؤول الى الحياة كذلك من يتبع الشر فالى موته)
فأخذ جورج واسما يذرفان الدمع . . وركع القس بجانب سريريه وابتدأ يصلي
وانتشر خبر موت القاضي سريعا فوفد الناس جماعات جماعات وهم الذين
كانوا يهتثونه بالامس جاءوا اليوم ليشبعوا نعشه الى مرقدته الاخير وهكذا الدهر يوم
لك ويوم عليك

﴿ الفصل الثامن ﴾

« نعود الى ايوب صديقنا القديم »

وقف ايوب في موقفه المعتاد ضاحكاً ويده فأسه وأخذ ينظر ذات اليمين
وذاات اليسار لعله يجد احداً يمزح معه فلم يجد
فجلس الى الارض وقال لنفسه كنت اقول ان القاضي ظالم والحقيقة اني اظلم
منه وأخذ يكرر هذه الجملة ويفكر فيها ضاحكاً حتى رزقه الله بصديق له كان ذاهباً
الى حقله فناداه ايوب فجاء اليه ووجده يكرر هذه الجملة فسأله لماذا انت اظلم منه
يا ايوب ؟ قال لاني في العام الماضي دفنت ميتاً بلا رخصة فأمر هذا القاضي بحبسي
اسبوعاً فقضيته بالسجن وخرجت . والآن فاني سأنتقم منه انتقاماً هائلاً . قال بماذا ؟
قال بأنني سأسجنه سجناً مؤبداً الى ما شاء الله فضحك الرجل وسأله كيف مات القاضي
اليوم وقد تزوج بالامس . اجاب ايوب وقال انه كان رجلاً ظالماً فلم يمهله الموت الا
ريثاً لمست شفتاه كأس الهناء واختلافه بغته لكي لا يتمتع به وهكذا دائماً (رجل
الظلم يصيده الشر الى هلاكه) وظهرت الجنازة فترك ايوب صديقه ووقف لاستقبالها

حتى اذا بلغت المدفن أخذ النعش بشماته من بين ايديهم وادخله القبر واغلقه عليه
بتأن واحتراس قائلاً في نفسه لتلا يخرج ثانياً . . .

وعاد المشيعون يعزون القس صهر الفقيد وجلس القس في سبرايه يستقبل المعزين
حتى تمت ايام الجنازة

وقد علم القس حقيقة المسألة فحمد الله على تسرعه وعلم (ان) كما يفعله الله
يقعله للخير)

وبعد ذلك بأيام جاء القس باثاث منزله وسكن مع ربيته اسما الغنية بسراي
وليم بك التي ورثها عنه مع كل ممتلكاته لعدم وجود وارث له سواها وهكذا شامت
العناية الالهية بان ترث الابنة اباه

اما جورج فاظهر نفسه لابنة اخته وعاد البلدة جذلاً مسروراً

﴿ الفصل التاسع ﴾

« ختام مفرح »

وقف القطار بالمحطة اذ كانت الساعة السادسة صباحاً وكان الشياولون يدخلون
ويخرجون في العربات يحملون عفش المسافرين

وخرج بعدهم شاب في الرابعة والعشرين من عمره طويل القامة اسمر الوجه
لطيف الهيئة جداً وكان يحمل تحت ابطه مخفظة من الجلد يعلم من ينظر اليها انها
تحتوي كتباً وكان بيده مظلة عتيقة ليستظل بها من حرارة الشمس — ففرد مظلته
وأخذ يسير في طريق البلد حتى اذا وصلها أخذ يخترق شوارعها مما يدل على انه
يعرفها قبل وكان يخرج من شارع ويدخل في عطفة حتى وقف امام بيت صغير
وتنفس مستريحاً وبعد هنيهة طرق البيت ففتحه له غلام صغير فاستغرب الشاب هذا
الغلام وأخذ ينظر الى البيت من جهاته الاربع حتى وثق انه نفس المنزل الذي
يقصده . واخيراً سأل الغلام عن القس فأجابه انه ترك هذا البيت من ثلاث سنوات

فدمدم الشاب قائلاً - انه لم يكتب لي - وترك هذا البيت وسار في طريق اخرى بلا روية حتى اذا صادفه انساناً تلطف معه وسأله عن منزل القس فسار الرجل معه ليدله عليه - وبعد سير قليل وقف امام سراي انيقة فأشار له اليها وتركه وكرّ راجعاً فابنسم الشاب وظن انه معتوهاً ووقف في موضعه حتى اذا مرّ عليه آخر سأله فأجابه نفس الجواب فتضابق الشاب وتقدم بخطوات مضطربة الى تلك السراي فرأى عن بعد القس الشيخ جالساً فاسرع اليه ففتح هذا ذراعيه وتلقى ابن اخته بينهما هذا هو ميري ابن اخت القس الشيخ . . وهذا هو ميري حبيب اسما التي كانت تذكره في أخرج اوقاتها . ذلك الشاب المجتهد النشط الذي عاد يحمل تلك الورقة الجميلة التي تدل على فوزه الاكيد

وبعد برهة سأل ميري خاله ان هذه السراي يا خالي ؟ قال انها لنا جميعاً يا ولدي قال ومن اين اصبحت غنياً فتستأجر مثلاً ؟ قال انها ملكنا فاغتاظ الشاب وظن ان خاله ايضاً مجنوناً وسكت . وقال القس انا لا يمكنني ان اشرح لك الحقيقة فاصعد الى الأعلى وهناك اسماء المشاة للقاء فهي أقدر مني على تفهيمك ما جرى قال هذا وأشار له على السلم فصعد الشاب بخطوات ثقيلة الى الدرج وهناك وقف محتاراً اذ وجد ابواب كثيرة لا يدري ايها يدخل . وبعد لحظة خرجت احدى الخادومات لتقضي امراً فرأته وسأله عن يقصد . فاجابها بتلجلج انه يريد اسما قالت ما اسمك فابلغها اياه ؟ فابنسم وقال اسمي ميري . وظل واقفاً منتظراً واذا بباب فتح بغتة وراءه وأسماء خارجة منه بسرعة حتى اذا رأته قبضت على يده بوداد مبتسمة وقبلته قبالها - وادخلته الى غرفة جميلة مفروشة بأجمل الاثاث وأثنى الرياش واجلسته وجلست بجانبه فبقي ميري ساكناً يفكر فخطر له ان اسما تزوجت وانه الآن في بيت زوجها ولم يجد تعليلاً اقرب لهذا الغنى الذي لم يكن ينتظره فاصفر وجهه اذ تبين ان اسما ذهبت من يده الى الابد

والتي نظره عليها فوجدتها تبكي فسالها بحزن لماذا تبكين يا اسما وانت في وسط هذه السعادة أينقصك شيء ؟ قالت كلا ولكنني اخاف ان تكون هذه السعادة

سبباً لتفصيصك فجزع متري وعلم ان فكره في محله
فقال وهو يجوش للبكاء ويمسك نفسه ان خالي لم يرض ان يذكر لي شيئاً مما
جصل وترك ذلك اليك واراك انت ايضاً تلمحين الى امر ويمسكك اشفاقك عليّ
من اباحتك ولكنني بحمد الله رجل قوي ويمكنني ان احتمل كل انواع المصوم فقرلي
يا أسما هل تزوجت؟ قال هذا واصفى بكل سمعه ليسمع الجواب الذي تتوقف عليه
اما سعادة عظمى او شقاء الى الابد فقالت اسما نعم . ولا . فقال متري بنفس مرة
اما نعم ففرقتها وما هي لا؟ قالت اسمع فاقص عليك الحكاية من اولها وبعد ذلك
احكم كما تشاء . انك تظنني ابنة خالك والحقيقة انك وام . وأخذت تسرد عليه القصة
بتمامها كما سمعتها من القس في ليلة الحادثة . وختمت حديثها قائلة واني الآن لك
كما انت لي وقد حفظني الله طاهرة لكي لا ينقصك قول تقبلني يا متري والحالة هذه
قرينة لك؟

فكان جوابه ان امسك يدها قبلها

وبعد ذلك باسبوعين جاء القس الشيخ وعقد قرانها على متري ابن اخته
وكانت عذرائتا اسما الارملة تلبس نفس الثوب الذي لبسته في قرانها الاول ولم يحضر
هذا القران سوى القس مريها وجورج خالها وكان الجميع في منتهى الجذل والسرور
وبعد ان انتهى صلاة الاكبل ادخلت العروس الى غرفتها ودخل اليها متري
فتلقته مسرورة فنظر اليها نظرة لطيفة وابتم وكأ انه ذكر حينذاك انه زوجها الثاني
فابتسمت هي ايضاً وقدمت له خدها قبلها قبله حارة

اما القس الشيخ فوافقه المنية بعد قليل وقد مات سعيداً جداً بين ذراعي اسما
ومتري الاذان شيئا الى مسكنه الاخير بدوع كثيرة ودفنه ايوب بتلطف وابتسام
لانه كان صديقه

وبارك الله محبتهم وهما الآن يعيشان سعيدين لا يوجد بين الزوجين من هما
اسعد منهما وبالايس علمت ان اسما حاملاً وهكذا (ذكر الصديق يدوم
الى الابد) مشرق في قريصه بصدفا